مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 2 السنة: 2020
ص: 241 - 254 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

حاجة تعليميّة اللّغة العربيّة إلى المنهج اللّساني العرفانيّ . قراءة لأسس المقاربة العرفانيّة.

The need of cognitive linguistics in arabic language didactics. Overview on the foundations of the cognitive approach.

[*]مويسي مخطار [1]، بلبشير لحسن [2]

Mouissi Mokhtar , Belbachir Lahcen

كلية الآداب والفنون واللغات، جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس .(الجزائر)

مخبر تجديد البحث في تعليمة اللّغة العربيّة في المنظومة التّربوية الجزائريّة

University of Sidi Bel abbes – Algeria

mokhtar.mouissi@univ-sba.dz

تاريخ الإرسال: 2019/12/03	تاريخ القبول:2020/03/21	تاريخ النشر : 2020/06/02

مُلخّص البحث

إن استثمار التجربة اللسانيّة المعاصرة لتطوير المنهجيّة العلميّة لتعليميّة اللّغات أصبح من الضّروريات في الممارسات البيداغوجيّة، بحيث تهدف هذه الدّراسة إلى الإفادة من المنهج اللّساني العرفانيّ الحديث في تأهيل المتعلّمين لاكتساب الكفاءات اللّغوية، وفهم الكيفيّة الّتي تُكتسب بها اللّغة في الذّهن البشريّ، ذلك لانّ المقاربة اللّسانية العرفانيّة غيرت مسار الدّرس اللّساني الحديث، من خلال إرجاع اللّغة إلى طبيعتها الذّهنيّة وربط ذلك بالذّاكرة والخيال والذكاء. وعليه، فإنّ الحاجة ألحت على اسثمار جهود اللّسانين العرفانين في حقل تعليميّة اللّغة، وفَرَضَت التّوجه إلى الدّراسات اللّسانية الإدراكيّة بكل مرجعياتها ومفاهيمها ومصطلحاتها ومناهجها ووسائلها وأدواتها الإجرائية والتّطبيقية في تعليميّة اللّغات، والإفادة منها لتحسين مستوى الأداء اللّغويّ عند متعلّمي اللّغة العربيّة .

كان منهج البحث قائما على الوصف والتّحليل والاستنتاج، من خلال إلقاء الضّوء على الحلقة المفقودة في تعليمية اللّغة العربيّة والمتمثلة في حاجتها إلى المنجز اللّساني الإدراكيّ. هذه النتيجة الّتي تأكدت في خاتمة البحث .

الكلمات المفتاح : استثمار، اللّسانيات، التّعليميّة، اللّغة العربيّة، العرفانيّة، المنهج.

[*]مويسي مخطار .mokhtar.mouissi@univ-sba.dz

Abstract :

The investment of the modern linguistic experience to develop the scientific methodology for the teaching of languages has become a necessity in pedagogical practices. Accordingly, this study aims to benefit from the modern linguistic approach to qualifying learners to acquire linguistic competencies by understanding how language is acquired in the human mind since the cognitive linguistic approach has changed the course of the modern linguistic lesson, by returning the language to its cognitive nature and linking it to memory, imagination, and intelligence .

Accordingly, the investment of linguistics became necessary in language didactics, Especially the cognitive filed with all its references, concepts, terminologies , methods, approcaches , methodologies and even procedural and applied tools in language learning, and benefit its to improve the level of language performance among learners.

The research methodology was based on description and analysis ,By highlighting the missing link in the teaching of the Arabic language, which needs the use of cognitive Linguistics, and this latter result was confirmed in the search conclusion.

Keywords: Investment, Linguistics, Didactics, Arabic, Cognitive, Approch.

1- مقدّمـــة :

لا يرتقي أيّ عمل فكريّ إلى مستوى العلميّة إلا إذ توفرت فيه المرجعيّة المعرفيّة والقاموس الاصطلاحيّ، وبالعودة إلى مصطلح العرفانيّة والتّركيز في مفهومها، يتبيّن أنّها تجمع بين اللّسانيات كعلم يدرس اللّغة البشريّة علميّاً، والعلوم العرفانيّة الّتي تهتم بدراسة آليات اشتغال الذّهن بصورة عامّة، هدفُها فهم بنية عمل العقل البشريّ. وتمثل اللّسانيات العرفانيّة بهذا الطّرح " تيّاراً لسانيّاً حديث النّشأة، يقوم على دراسة اللّغة البشريّة والذّهن، بما فيها الاجتماعيّ، الماديّ، والبيئيّ. "[1] إذ من المسلّمات أنّ لكلّ عصر خصوصيات يَمازُ بها، وظروف عيشٍ وحيثيات لابدّ للإنسان أن يسير معها ويتساير، ليسَ هذا فقط، بل ويستغلها لخدمته، ومع التّطوّر الحاصل اليوم نتيجة استثمار العقل البشريّ في مجالات عدّة، كان للّغة هي الأخرى نصيبٌ من ذلك، إذ ثارت اللّسانيات على النّمط التّقليدي الكلاسيكيّ، والقالب الرّوتيني الّذي كانت تقدّم به اللّغة لتعليمها .

وعصرنا اليوم يشهد عملية متكاملة يتمّ من خلالها توظيف المعرفة البشريّة لتذليل الصّعوبات الّتي تحول دون بلوغ التّيسير والخدمة، ومن هنا تبلورت فكرة هذا المقال، الّتي تقوم أساساً على ضرورة استثمار مناهج اللّسانيات الحديثة، خاصةً العرفانيّة منها في تعليميّة اللّغة العربيّة، ذلك لأنّ منهج العرفانيين يرتبط بالدّراسة النّفسيّة الّتي تهتم بعمل الدّماغ ومتابعة العمليات العقليّة المختلفة الّتي تتّصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام.حيث جاءت هذه الدّراسة لتجيبَ على الإشكال الآتي: ما حاجة تعليميّة اللّغة العربيّة إلى المنهج اللّسانيّ العرفانيّ ؟ وكيف يمكن الإفادة منه لخدمة تعليميتها ؟ وقد انضوى تحته فرضيتان همـا كالآتي :

أوّلا : التّوجه إلى اللّسانيات والإفادة من بحوثها اللّغويّة في حقل تعليميّة اللّغات ضرورة قصوى لمتعلم العصر .

ثانيّاً : تقدّم اللّسانيات العرفانيّة إفادات يَحسنُ استثمارها لإنجاح تعليميّة اللّغة العربيّة .

وقد تم معالجة هاتين الفرضيتين في ثنايا هذه الورقة البحثية، الّتي جاءت عناصرها كالآتي :

1. مقدّمة .
2. دور اللّسانيات في تعليميّة اللّغة .
3. نشأة العلوم المعرفية ومجالاتها البحثيّة.
4. اللّسانيات العرفانيّة و تعليميّة اللّغة العربيّة .

1.4 اللّغة عند العرفانيين .

2.4 مرتكزات اللّسانيات المعرفية في تعليميّة اللّغة .

3.4 تعليميّة اللّغة العربيّة من منظور المنهج اللّسانيّ العرفانيّ .

5. خاتمة .

وقد اعتمدت في هذه الدرّاسة على المنهج الوصفي التّحليلي، الّذي ناسب طبيعتها، هادفاً إلى إلقاء الضوء على الجهد اللّساني العرفانيّ، والبحث في مقترحات العرفانيين للنهّوض بتعليمية اللّغة العربيّة .

2- دور اللّسانيات في تعليميّة اللّغة :

إنّ حقل البحث في تعليميّة اللّغات، أوميتودولوجيا اللّغات " ينفتح على التّعلم والبيداغوجيا وإثنوغرافيا التّواصل."[2] حيث تُعدُ هذه الميادين بمثابة مرتكزات في مجال تعليميّة اللّغات، ولعل أهم

هذه المرجعيات هو" اللّسانيات " لأنّ محور بحثها هو العملية التّعليميّة التعّلميّة، " فالمعرفة اللّسانية تتوزع إلى تيارات نظريّة مختلفة، قد تصل إلى حدّ التّباين في المنهج حيناً، وفي التّفسير حيناً آخر، بل وفي التّأول أحياناً كثيرة، فإن جملة من الأصول تظل جامعة بين كل المدارس اللّسانية...ومن الثّوابت الجامعة بين التيارات اللّسانية اليوم، بل لعلّها أم الثّوابت، إنّه ما من مدرسة لسانيّة إلا ولها نظرية متميزة تخص قضية اكتساب اللّغة." [3]

إنّ تعليميّة اللّغة من الحقول المعرفيّة التّي تعرض لها الكثير من الدارسين، والّذي تضاربت فيه النّظريات، ولكل وجهة نظر تُحترم، فبقدوم اللّسانيات وظهورها كعلم اكتسح القرن العشرين، عرف مجال تعليميّة اللّغات ثورات عديدة في التّعامل مع النّص اللّغوي، الّذي يمثل المادة الأوّلية لتقديم اللّغة للمتعلم، فاعتبر النّص مادةً دسمةً نظر إليه أصحاب كل مدرسة من زاوية تختلف عن سابقاتها، وارتبط نجاح تعليميّة اللّغة على مدى توفُق الدّارس لفهم الخلفيات والمرجعيات اللّسانيّة، وحسن الارتكاز عليها، هذا لأنّ ممارسة الفعل اللّغوي تتطلب فهماً واعياً للحدث اللّسانيّ، وارتباطه بالجانب النّفسيّ والاجتماعيّ .

كما تحظى كل لغات العالم بأهمية كبرى خاصّة عند اللّسانيين، لذا وجب الاهتمام بتعليمها ، وذلك من خلال استثمار الفكر اللّساني المعاصر فيها. فمنذ ظهور اللّسانيات وهي تهتم بالتّعليم عامّةً ، وتعليمية اللّغات على وجه الخصوص، حيث تُعتبر اللّسانيات الميدان المتوخى لتطبيق الحصيلة المعرفية للّغة وتحليليها وفي هذا الصدد يقول د.حسن المالك :" تؤدي اللسانيات دورا بارزا في تحليل العملية التعليمية وترقيتها، حيث أنها تجيب على مختلف التساؤلات العلمية والبيداغوجية التي يواجهها المعلم ."[4] و بهذا إذاً، لا يمكن لعاقل أن يجحد فضل اللّسانيـــات في مجال تعليم وتعلّم اللّغات. حيـث كان من الضـروري الالتفات إلى اللّسانيات، والبـحث في ثنايـاها عن ما يفيد تعليمية اللّغات، ويأخذ بيد متعلميها إلى المستقر الثابت الآمن، فتوجهت الأنظار إلى علم اللّغة الحديث وفتحه الجديد ، وتأرجحه بين دراسة اللّغة دراسة علميّة، وتعاطيه للظاهرة اللّسانية من اللّغة وإليها من جهة ، وكذا الخروج عن إطار ذاتية اللّغة إلى إدخال السّياق ورفض فكرة قداسة النّص و انغلاق بيئته، وصولاً إلى الحاسوبيّة و المعرفيّة .

وقد عرفت تعليمية اللّغات وثبة كبيرة في الفترة الممتدة بين الخمسينات إلى بداية القرن الواحد والعشرين، فالمتتبع لمجراها التّحولي يلاحظ أن جل الدّراسات الّتي أجريت فيها كانت تهتم بالدّرجة

الأولى بالكيفية الّتي تعلّم بواسطتها لغة ثانية، فاعتبرت " أن منشأ تعليميّة اللّغات هو اللّسانيات التّطبيقيّة، إذ كان يطلق على الكيفية الّتي تُعلّم بواسطتها لغة ثانية مصطلح اللّسانيات التّطبيقيّة"[5]، هذه الأخيرة الّتي" تعنى بدراسة ثلاثة عناصر أوليّة وهي المتعلم، المعلم،وطريقة التّعليميّة." [6] هذه الأركان الّتي تمثل الحجر الأساس في العمليّة التعليميّة التّعلميّة. واللّسانيات التّطبيقيّة تركيب لفظي جمع بين اللّسان والتّطبيق، حاول فيها الدّارسون لـمّ الجانبين، وشق السّبيل الصّواب خاصـــــة في تعليميّة اللّغات، والجدير بالذكر كذلك أنّ تطبيقات اللّسانيات أوسع وأشمل من أن يُحصر مجالها في تعليميّة اللّغات فحسب،بل تتعداها إلى حقول نفسيّة واجتماعيّة وتربويّة، فهي " عبارة عن استخدام منهج النّظريات اللّغوية ونتائجها في حل المشكلات ذات الصّلة باللّغة، وذلك في ميادين غير لغويّة وحقل هذا العلم شديد الاتّساع يضم تعليم اللّغات الأجنبية، أمراض الكلام ،التّرجمة ، فن صناعة المعاجم ، والأسلوبية و تعليم القراءة وغير ذلك "[7] ومع تعدد فروع اللّسانيات واهتمامها بشكل واضح وجليّ بتعليمية اللّغة، لابد من استثمار الجهد اللساني التّطبيقيّ بكل فروعه وبشكل كبير لترقية طرائق ووسائل التّعليم فيقول الدّكتور أحمد حساني : " تضطلع اللّسانيات التّطبيقيّة بمهمة لسانيّة تطبيقيّة وتعليميّة إجرائية هادفة في مؤسسات تعليم اللّغات، إذ لها حضور فعليّ في تحضير المحتويات التّعليمية، وتكوين التّمارين والاختبارات ذات التّصحيح المسبق التي لها علاقة مباشرة بالاختلافات أوما يسمى بنقاط الارتكاز بين اللّغات. ويتطلّبُ هذا كفاءات معرفيّة وعلميّة ومنهجيّة متجدّدة تؤسّسُ لنظرية تعليمية ، ومنهج بيداغوجيّ يؤهّل المتعلّم لاكتساب المهارات اللّغوية وتوظيفها، ولا يتأتّى ذلك إلا إذا ارتكز هذا البحث على الحصيلة المعرفيّة لهذه النّظرية اللّسانية الّتي تبحث في العوائق الّتي تقوّض الممارسة الفعليّة للحدث اللّغوي عند المتكلّم ."[8]

3– نشأة العلوم المعرفية ومجالاتها البحثيّة :

يشير مصطلح العلوم المعرفية أوالإدراكيّة إلى الدّراسة العلميّة لكل ماله علاقة بالعقل البشريّ والذّكاء الإنسانيّ، بحيث تسعى لمعرفة وظائف الفكر والمعرفة، والجمع بين المشاريع النّظرية والتّطبيقيّة الّتي تدرس الإدراك البشريّ، فهدف العلوم المعرفيّة هو دراسة المعرفة بكل أشكالها، وجميع الآليات الّتي تقوم ببنائها وتطويرها، كما أنّها تُعنى بمعالجة المعلومات وكيفية التّعامل معها سواء لدى البشر أوعلى مستوى الآلة، "فنطاق العلوم المعرفيّة واسع وشامل لكل قدرات الذّهن

البشري بما في ذلك اللغة والاستدلال، والإدراك، والتّخطيط والنّشاطات الحسية والحركية."[9] كما تهتم برصد دور الذّهن وأنماط الاستدلال في معالجة المعلومة، وبالعمليات العقليّة الإنسانية الذّهنية كالإدراك، والذّكاء والتّذكر والتّخيل...وهي " تآلف مجموعة من العلوم المستقلة، بعضها وصفيّ تجريبيّ (علم النّفس المعرفيّ، اللّسانيات، والأنتربولوجيا المعرفية...) وبعضها نظريّ (كالفلسفة)، وبعضها نظريّ تطبيقيّ (كالذكاء الاصطناعي) تلتقي وفق برنامج محدد حول دراسة آليات اشتغال الذّهن البشريّ"[10].

وترتبط نشأة العلوم المعرفية في الغالب بالمؤتمر الشهير "ماسي" عام 1946م، وتبعته مؤتمرات أخرى إلى غاية 1953م، إذ التقى ثُلة من الباحثين في الفيزيولوجيا وعلم الأعصاب والإعلام الآلي والرياضيات... حيث تقرر تبني برنامج بحثيّ مشترك حول العلوم المعرفية، وبشكل خاص الذّكاء البشريّ، و مختلف العمليات العقليّة الّتي تحدث على مستوى دماغ الإنسان وعلاقته بالآلة، كما يستهدف هذا البرنامج "التّمكن من تمييز السّلوك الذكي وتحفيزه عن طريق برنامج الإعلام الآلي، ومنه جاءت فكرة خلق ما يعرف بـ "الذكاء الاصطناعي""[11].

أمّا الظّهور الفعليّ والجليّ للعلوم المعرفية فيؤرخ له حين انعقدت " ندوة نظمها معهد ماستشوس للتّكنولوجيا في سبتمبر 1956، جامعاً لأوّل مرة نخبة من الباحثين في علم الحاسوب واللّسانيات بالإضافة إلى علم النفس،حيث تم تقديم أعمال لكل من جورج ميلر وهارب سيمون وآلان نويل، ونوام تشومسكي، وهم من عدة اختصاصات، وفي هذا الملتقى وضعت الإرهاصات واللّبنات الأولى لهذا العلم الذي لم يسم بعد» "[12].

وتأسيساً على ما سبق، فإنّ النّصف الثّاني من القرن العشرين قد شهد اهتماماً كبيراً بالعمليات المعرفية، وشكلت عدة مصطلحات مثل الإدراك والتّذكر والاستدلال أساساً للعلم المعرفيّ، وذلك لتقديم مراجعة أوّلية لما اصطلح عليه بالمقاربة العرفانيّة، والتّفكير الجدّي لتيّار أكثر نجاعة في تحديد النّظرة لكيفية معالجة المعلومة واسترجاعها عموماً، واكتساب اللّغة خصوصاً عن طريق الذّهن.

4- اللّسانيات العرفانيّة وتعليميّة اللّغة العربيّة :

إن السّلم التّاريخيّ للّسانيات الحديثة مر بعدة محطات فاصلة حتى قبل دي سوسير، الّذي درس اللّغة دراسة علميّة منهجيّة، وفتح مجال هذا العلم على مصرعيه مقدّماً بعض الأدوات الإجرائية له، ومعتمداً على مناهج بحثيّة تتوافق وهدفه، ليتبعه بعد ذلك جيل آخر ظهرت على يده

اللّسانيات الصّورية الاستنباطية الّتي عملت على صورنة اللّغة، لتأتي موجة أخرى ألا وهي اللّسانيات الحاسوبية التي حاولت ربط اللّغة بالحاسوب ورقمنتها جامعة بين اختصاصات كثيرة منها اللّغة وعلم الحاسوب والمنطق وعلوم الأعصاب وعلم وظائف الأعضاء... ليليَ هذا كلّه منهج ذهنيّ جديد عرفناه باسم " العرفانية " .

وقبل الغوض في مسألة ضرورة استثمار المنتج العرفانيّ في تعليميّة اللّغة العربية، لابد من الوقوف على مصطلح" العرفانيّة "، فالعرفان لغةً هو العلم، وقد جاء في لسان العرب " عرف: العرفان: العلم ورجل عروف وعروفة :عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرةً والهاء في عروفة للمبالغة " [13] و قد عرف مصطلح العرفان فوضى وعدم انضباط كغيره من المصطلحات اللّسانيّة في العالم العربيّ، "وفي هذا الشّأن ظهرت في الآونة الأخيرة ترجمة لهذا المصطلح بـ"معرفة" أو "إدراك"، وهما مصطلحان كما نعلم" متداولان منذ زمن في جل الدّراسات الفلسفيّة والنّفسية بشكل خاص"[14].

وقد " اقترح الباحث الأكاديمي التّونسي"الأزهر الزناد " رئيس وحدة بحث اللّسانيات العرفانيّة واللّغة العربيّة بجامعة منوبة" تونس" مصطلحا بديلا وهو" العرفنة" " ، والذي أجراه في بعض ما كتب ونشر من ذلك :"نظريات لسانية عرفنية (2010م)، والنص والخطاب: مباحث لسانية عرفنية (2011م)"[15]

1.4 اللّغة عند العرفانيين :

إنّ اللّسانيات العرفانيّة تيار لسانيّ حديث النشأة، ينطلق من مسلمة مفادها أن اللّغة الطّبيعية بنية معلومات مرمّزة موجودة في الذّهن البشري، غير مستبعدة بذلك الجانب النّفسي للّغة، فهي تنظر للّغة على أنّها ظاهرة نفسيّة ذهنيّة لا يمكن أن نفهمها إلا من خلال علاقتها بباقي الظواهر الذّهنية كالإدراك والذكاء. ومن هنا كان لابد أن تُثار مسألة تَتَضمنُ هذا الطّرح في تعليميتنا للّغة العربيّة، خاصة وأنّ تناول العالم العربيّ عامة والمغربيّ على وجه الخصوص للّسانيات العرفانية كان قليلا في هذا المجال، إلا ما جاء على يد الأزهر الزناد وعبد المجيد جحفة وتوفيق قريرة وقلّة آخرين. ولهذا لم تكتسب قَبولا وبلورة لها في قطاعاتنا التّعليميّة المختلفة .

إنّ اللّغة من المنظور العرفانيّ " لا تنفصل عن الخبرة الإنسانيّة الّتي تشكلها التّجربة، والّتي تؤثر في الطّريقة الّتي نُدرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة. والتّعبير عن الأشياء والمفاهيم هو بعد لغويّ، يتأثر بلا شك بكيفية إدراكها. فاللّغة ليست مستقلة أومغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف

نظامها الدّاخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل عن البنية التّصورية أوالمعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية وتؤثر مباشرة في بنية المبادئ اللّغوية المختلفة."[16]

وعليه، يمكن القول إنّ اللّسانيات العرفانية قامت على دراسة الأبعاد الإدراكيّة في عملية التّواصل اللّغوي، ودراسة كيفية اشتغال الدّماغ البشري في معالجة المعلومات واكتساب اللّغة ، كما أنها تهتم بالمكوّن الدّلالي التّصوري أكثر من اهتمامها بالمـــكوّنات اللّغوية الشكلية المعهودة (الصرف،المعجم). فالتّوجه المعرفي للّسانيات لا يتوقف على رصد الأبنية اللغوية الخارجية، بل يتعدى ذلك إلى الذّهن والعقل البشريّ وكيفية تعامله مع ما يحيط به من موجودات، فـ"معالجة الوحدات اللّغوية لا تخص نشاط الإنسان اللّغويّ فحسب، وإنّما مختلف الأنشطة الّتي يقوم بها في كل ميادين المعرفة، حتى في حياته اليومية، ومن بين هذه القدرات يمكننا أن نذكر: قدرة الإنسان على إنشاء تصورات منظمة وتشكيلها"[17].

وتقدم اللّسانيات العرفانيّة ثلاثة فرضيات يسترشد بها الإطار اللّساني في التّعامل مع اللّغة وهي كالآتي : "

- ✓ اللّغة ليست قدرة إدراكيّة مستقلّة .
- ✓ النّحو هو عملية خلق للمفاهيم، ممّا يعني أنّ اللّغة رمزيّة بتطبيقها .
- ✓ المعرفة باللّغة تأتي من الاستعمال. "[18]

وبهذا، يؤكد رواد اللّسانيات العرفانيّة مرّة أخرى على التّمثلات الذّهنيّة رداً على النّحو التّوليدي الّذي يفصل بين الملكة الإدراكيّة والقدرات الإدراكية، ويعزز هذا الطّرح الكاتب رونالد لا نقاكر[19] في كتابه مدخل في النحو العرفاني، الّذي ترجمه الأزهر الزناد من الإنجليزية إلى العربية، حيث ركّز فيه مؤلفه على ذكر التّفاعل القائم بين الملكات الذّهنية وملكة النّحو، بالاعتماد على التّدرج في معالجة مسائل اللّغة بالتركيز على التّصوير الذّهني والتّخييل.

2.4 مرتكزات اللّسانيات المعرفيّة في تعليميّة اللغة :

على الرغم من اختلاف المسميات الّتي أطلقت على هذا العلم كالعرفانية، العرفنة والمعرفية ، فإنّ ما يهمنا أكثر في هذا السّياق هو الوقوف على مبادئه وأسسه التي قام عليها، فهو يعد "من العلوم اللّغوية الحديثة نسبيا، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالدّراسات النّفسية التي تهتم بعمل الدّماغ ومتابعة العمليات العقلية المختلفة الّتي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام.

ولا يقبل أصحاب هذا الاتجاه في دراسة اللّغة، على اختلاف منطلقاتهم القول باستقلالية النّظام اللّغوي؛ فهم يرون أنّ لا انفصال بين المعرفة اللّغوية والتّفكير بشكل عام." [20]

ولا يُنكر الدّارس للمسار التّطوري لعلم اللّغة الحديث الأثر العميق للتّفكير الإدراكيّ على تعليم اللّغات، فبداية من ستّينات القرن الماضي بدأت تزول الطرق القائمة على البنيويّة والسّياقيّة تدريجيّا، إذ رفض التّصور العرفانيّ الطّرح القائم على أنّ اللّغة استجابات مشروطة ناتجة عن محفّز خارجيّ، وهو ما بنت عليه السّلوكية منطلقاتها، ولكن " القواعد مبرمجة سلفا في دواخلنا (عقولنا) جميعاً بلا استثناء."[21]وبالتّالي، تعلّم اللّغة يفرض التّوجه إلى الذّهنيات، إلى التّفكير وإعادة التّفكير، إلى الوعي بالمكنيزمات الذّهنيّة الّتي ينجز بها العقلُ الفعلَ الكلاميّ، وإلى التّقصي لما يجري في كواليس العرفان. ويمكن حصر منطلقات العرفانيين ونظرتهم إلى تعليميّة اللّغة في نقطتين مهمتين هما كالآتي :

1- يرفض العرفانيون " ملكة اللّغة الفطرية "، وربطوا السّلوك اللّغوي بالنّسق التّصوري والعمليات الذهنيّة. وتجب الإشارة هنا إلى أنّ هذا لا يعني نفيها كليّا، بل تعديل الرأي فيها فـ"من المعقول طبعا اعتبار وجود مكون فطري مهم للقدرات المعرفية البشريّة العامة، وأنّ هناك بعضا من هذه الخاصيات الفطريّة تعطي نهوضا للقدرات اللّغوية البشريّة الّتي لا يمتلكها أي نوع إحيائيّ آخر بشكل واضح"[22].

2- ليس هيّناً الجزم بأنّ العرفانية أحدثت القطيعة مع سابقاتها من النّظريات اللّسانية، خاصّة وأنّ أغلب روادها هم تلامذة تشومسكي، لكن قوامُها كان رَفضُ إعطاء الأولوية للوظيفة المركزية للمعنى في إنتاج اللغة، ما يعني مبدأ مركزية التّركيب الّذي تبنته النّظرية التّوليدية التحويلية "مركزية التركيب" متأثرة بالمنهج التجريبي والشّكلنة الرّياضيّة متوجهة نحو"اعتماد أولوية البنية التّركيبية الإعرابية في تصور اللّغة، وذلك على حساب العناية بالمعنى، وبالبنية الدلالية"[23]. إذ عمدَ تشومسكي في بناء نظريته بدايةً على مركزيّة المكون التّركيبي، وقد كان هذا التركيب هو المحور الّذي تدور حوله مباحث اللّسانيات التّوليدية، في حين تعمل المكونات الأخرى- الصّوت والدّلالة- في مستوى ثانوي، يقول جاكندوف: "ونعود إلى ما أعتقد أنّه الخطأ الّذي يقع في صلب النّحو التوليدي، أقصد الخطأ الّذي يقف وراء ابتعاد النّظرية اللّغوية عن العلوم العرفانية واغترابها فقد برهن تشومسكي على أنّ اللغة

تتطلّب نسقاً توليديا يسمح بإنتاج ما لا حصر له من الجمل المتنوعة، لكنه دافع دون دليل في كتاب المظاهر عن أن خاصية التوليدية هذه توجد في صلب المكون التركيبي للنّحو، وأنّ (الصّوتيات) نظام أصوات الكلام (والدّلاليات) نظام المعنى (هما مكونان تأويليان فقط؛ أي إنّ خصائصها التأليفية لا تعد أصلية، بل مشتقة بكيفية صارمة من تأليفية التركيب."[24] وعليه، فإن اللّسانيات العرفانية وجهت اهتمامها نحو المعنى المبنى على الإدراكات الحسيّة والباطنيّة، ثائرة على المدارس اللّسانية السّابقة الّتي انصب اهتمامها على التركيب وكيفية تشكله بعيدا عن الذهن. إذاً، هذا التّيار اللّساني المعرفيّ في دراسة اللّغة نهض على نقض تيّارات سابقة نقضاً منهجيّاً بالأساس، فكان الخروج عن المنهج الإجرائيّ القائم على وصف البنيويّ والتّوزيعيّ. والواضح أنّ اللّسانيات المعرفية تبحث في الآليات الّتي يعمل بها الدّماغ أوالذهن البشريّ لتوليد المعرفة واللّغة، وذلك في سياق تكامليّ مع كل العلوم الّتي لها صلة بهذه الغاية كعلم الأعصاب والتّرشيح والرّياضيات والحاسوب وبطبيعة الحال اللّسانيات.

3.4 تعليميّة اللّغة العربيّة من منطلق المنهج اللّساني العرفانيّ :

تتطلّب اللّغة عند الإدراكيين جهازاً عصبيّاً بقابلايات معيّنة، فهي ناتجة "عن تطور البيولوجيا، ولاسيما علم وظائف الأعصاب، وتقدم الباحثين في سبر أغوار الدماغ، وما نتج عنه من آمال في فهم الوظائف العليا كالإدراك والذاكرة وغيرها"[25]، وبهذا لابد من فسح مجال للتّفكير عند متعلم اللّغة، الّذي يتلقاها من معلّمه مستثمراً تغذيته الرّاجعة في اكتسابها، بمعنى أنّه يُنتج كلاماً اعتماداً على ما خزّنه في دماغه الّذي يحوي من الأسرار والعجائب الكثير، إذ أنّ ملايير الملايين من الخلايا الدّماغيّة تتلقى هذا الكم الهائل من الكلام يوميّاً وتعالجه بشكل استبطانيّ ضمنيّ لا سلوكيّ آليّ، وفتح مجال للإبداعية اللّغويّة. وبخاصة في اللّغة العربيّة الّتي تحوي بلاغة ومجازاً معجزين يتطلبان فهماً وتركيزاً ، وبهذا يصل متعلم اللّغة العربية إلى التّفاعل معها. فالعرفانيّة تركز على ضرورة وعي الأساس الإدراكي لتعليم و تعلّم اللّغة، وهنا لابد من الإشارة إلى تكوين المعلّم الّذي بات لزاماً عليه معرفة كيفيات اشتغال الدّماغ البشريّ مع اللّغة وتخزينها، بداية من الذّاكرة قصيرة المدى ثم انتقالها بواسطة التّدريب والمران والتّكرار، إلى الذّاكرة طويلة المدى لاستحضار اللّغة وقت

ما يشاء متكلمها.ثم إنّ ما نحتاجه أكثر هو الانفتاح على الأفكار الجديدة في تعليمتنا للّغة العربية، لأنّه ضروريّ وأكيد خاصة لمتعلم العصر الشّره المفتوحة شهيته على الطّرح الحديث .

اللّغة العربية بكل حيثياتها عمليّة ذهنيّة كبقيّة اللّغات، تحدث على مستوى الدّماغ، مرتبطة بعمليات معرفيّة عقليّة ومتداخلة معها، فلا تنفصل اللّغة عن الإدراك والذّاكرة والوعي والإحساس... فلا تتحقق وظيفتها الحقة إلا بتكاملها مع غيرها من الوظائف الذهنيّة، وقد قامت اللّسانيات العرفانيّة على أنقاض عدة تيارات سابقة لها، فخرجت عن"المنهج الإجرائيّ القائم على الوصف البنيويّ والتّوزيعيّ والمنهج الشكلي بما في ذلك الأنحاء المركبية والتّحويليّة والمقوليّة الرّياضيّة وعلى المنهج المنطقيّ القائم على شروط الصدق أوالشروط الضّرورية الكافية"[26]، وتناولت اللّغة من حيث طبيعتها ووظيفتها، واعتبرتها نشاطا عرفانيا وحاملة لتمثيلات عرفانيّة "ولذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدّلالية العرفانيّة ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفانيّة من قبيل الإدراك والتّذكر والتّصوير والعمل وتمثيل البيئة والسّياق وما إلى ذلك."[27]

5- خـاتمة :

إنّ التّعرف على مبادئ العرفانيّة يقودنا إلى التّفكير من جديد لإعادة النّظر في مسألة اكتساب اللّغة وتعلّمها، من خلال البحث في مجموعة الوظائف الدّماغيّة المعالجة للمعلومات على مستوى الذّهن، كما أنّ نشأتها ارتبطت بظروف خاصّة منها الفلسفة والاتجاهات البحثية الحديثة فيها، وأيضا اتجاهات العلوم المعرفيّة المتعددة،كما مثلت النّظرية اللّسانية التّوليدية التّحويلية منطلقا رئيساً لهذا الاتجاه اللساني الحديث. و مـن خلال ما ذُكـر آنفاً ، نخلص قولاً إلى :

1- ظهور اللّسانيات بتفرعاتها النّظرية والتّطبيقيّة أحدث ثورةً في تعاملنا مع اللّغة، ولهذا لابد من إعادة النّظر في تقديمها كمادة تعليميّة لمتعلّم هذا العصر ، من خلال استثمار اللّسانيات في تعليميّة اللّغة.

2- اللّسانيات العرفانيّة تيّار حديث النّشأة، يقوم على أسس ذهنيّة، ويربط معالجة المعلومات واكتساب اللّغات بالعمليات العقليّة المختلفة .

3- من أهم أسس الأنموذج العرفانيّ أنّه لا يتوقف على رصد الأبنية اللّغوية الخارجية، بل يتعدى ذلك إلى الذّهن البشريّ وكيفية تعامله مع ما يحيط به من موجودات،كما أنّ اللّسانيات العرفانيّة تربط الملكة بمبادئ معرفية عامة، وترفض الصّياغة الصّارمة لمبدإ الفطريّة الذي نادى

به تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية، وقد وجهت همها نحو المعنى على عكس التوليديين التحويليين الذين انصب اهتمامهم بالتركيب وكيفية تشكله بعيدا عن الذّهن. وترى أن العلاقة بين الدّلالة والواقع أمر ثانويّ، والبحث عن المعنى لا يكون في الواقع بل ينبغي التّوجه نحو الذّهن.

4- واقع تعليم اللّغة العربيّة هشٌّ ومتأخر، يدعو إلى عاجل النّهوض ويستلزم تفكيرا جاداً قوامه التّخطيط الواعي والتّنفيذ الفعّال .

5- تقدم اللّسانيات اقتراحات وبدائلَ تمثل حلولاً ناجعة وناجحة لتعليميّة اللّغة العربيّة بما يتوافق والرّاهن المعاش، ولهذا استثمار المنجز اللّساني العرفانيّ ضرورة لا يمكن تجاهلها. وهذا ما يؤكد صدق الفرضيّة الأولى .

6- اللّغة عمليّة ذهنيّة إدراكيّة ترتبط بالوعي والذّاكرة في رأي العرفانيين ، وَجَبَ ربط مخرجاتهم بتعليميّتنا للّغة العربيّة ، لأنّ الأخيرة تحتاج منا إعادة نظر في تدريسها. وهذا ما جاءت به الفرضية الثانية .

7- تضافر جهود اللّسانيين – كل وتخصصه –، وتعزيز مبادراتهم واقتراحاتهم سبيل فعّال لتحسيين جودة تعليم العربيّة في ظل رهانات العصر ومستجداته .

هوامش:

[1] الأزهر الزناد، النّص والخطاب – مباحث لسانيّة عرفانيّة –دار محمد علي للنّشر، ط1 ، 2011 ص 22.

[2] علي آيت أوشان، ديداكتيكا اللغات، مجلة الآداب وعلوم الإنسانية، سلسلة الندوات 2002/15، ص56.

[3] عبد السلام المسدي، المعرفة اللغوية وأثرها في الاختيار اللغوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، د.ط، ص46-47.

[4] محمد سيف الاسلام بوفلاقة، اللسانيات التقابلية وتعليمية اللغات، قسم اللغة العربية، جامعة عنابة، الجزائر، مجلة دنيا الوطن،17-10-2018.

[5] انظر: نصر الدين بوحاسين، تعليم اللغة العربية، واقع وأفاق كلية الأدب والعلوم الاجتماعية، مجلة العربية، جامعة البليدة، الجزائر، العدد3، سنة 2011،ص 15.

[6] أحمد حساني،مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، دت، ص17.

[7] جلايلي سميّة ، اللّسانيات التّطبيقيّة مفهومها و مجالاتها ،مجلة الأثر المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة . العدد 29 ، ديسمبر 2017 ، ص126.

[8] محمد سيف الاسلام بوفلاقة، اللسانيات التقابلية وتعليمية اللغات، قسم اللغة العربية، مجلة دنيا الوطن جامعة عنابة، الجزائر، ،17-10-2018 ، ص 27.

[9] . ذهبية حمو الحاج، العلوم المعرفية: بحث في النشأة والمفاهيم، مجلة أبوليوس، المجلد6، العدد2، 02جوان2019م، ص37. 38.

[10].عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006م، ص25. وينظر : موشرل جروبول آن، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص52.51.

[11]حسان الباهي، الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة، حنكة الآلة أمام حنكة العقل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012م، ص32.

[12] Miller ;george ;the cognitive revolutionhistoricalperspective.trends in cognitive science ;2003,vol 7,no 3,p 142.

[13] ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت، د ط، د ت. مادّة عرف .

[14].عمر بن دحمان، المعرفة، الإدراك، العرفنة، بحث في المصطلح، مجلة الخطاب، العدد 14، جامعة تيزي وزو، ص7.

[15]. ينظر المرجع نفسه، ص8.

[16] لطيفة إبراهيم النجار، آليات التّصنيف اللّغوي بين علم اللّغة المعرفي و النّحو العربيّ، مجلة جامعة الملك سعود، ع17 ، ،سنة 2004.

[17].عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مرجع سابق، ص39.

[18] زينايدا بوبفا، يوسف ستيرنين ، اللّسانيات الإدراكية، ترجمة تحسين رزاق عزيز، بيت الحكمة، بغداد،2012، ص 22.

[19]. رونالد لا نقاكر: لساني أمريكي(قسم اللسانيات، جامعة كاليفورنيا، سان ريغو)، وهو من أبرز الأعلام المؤسسين لتيار اللسانيات العرفانية، ولجمعية اللسانيات العرفانية العالمية التي كان رئيسا لها مدة عامين(1999.1997)، وهو معروف بنظريته الموسومة بالنحو العرفاني.

[20] إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللّغوي بن علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة الملك سعود، العدد 71 ،كلية آلداب، 2004 ،ص2

[21] و هو ما يسميه تشومسكي جهاز الاكتساب اللّغوي، " Linguistic Acquisition Divice LAD"

[22]. عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي مقاربة معرفية معاصرة، أطروحة دكتوراه، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012م، ص21.

[23]. سندس كرونة، اللسانيات وتطور العلوم العرفانية، حوليات الجامعة التونسية، العدد 47، 2003م، ص283.

[24] جاكندوف ضد تشومسكي، مقال منشور على الانترنيت، mustafahaddad://http blog- post_15. html0/05/blogspot. com/2007.

[25]. عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنشر و التوزيع، ط1، 2010، ص7.

[26]. الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية،الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف، تونس، ط1، ص27.

[27]. المرجع نفسه، ص28.